نظام النسيء عند العرب

﴿ قبل الاسلام ﴾

لموسى جارالله الروسى

رسالة فى بيان النسيء ونظام النسيء المذكور في القرآن الكريم

اقتطفها واجتباها مؤلفها من رسالته : « لم اعتبر الشرع

فى الأهلة الرؤية ؟ » وفى هذه الرسالة مسائل

علمية فقهية جاهد المؤلف فى حلها إفادة

لكل طالب يرغب ويستفيد

والمؤلف يقدم سلفا خالص شكره لكل استاذ أو طالب سيهدى اليه

صغيرة أو كبيرة من خطأ وقع منه فى الكتاب ويهديه فيه الى وجه الصواب

(تطلب من مكتبة الخانجى)

بشارع عبد العزيز بمصر

﴿ طبعت بمطبعة السعادة ﴾

بمصر سنة ١٣٥٤ هـ سنة ١٩٣٥ م

tarjumaneafkar@yahoo.com



الحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى . وصلى الله على سيدهم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير . رب اشرح لى صدرى . ويسر لى أمرى . واحلل عقدة من لسانى . يفقهوا قولى .

رأيت كتاب « علم الفلك عند العرب فى القرون الوسطى » لحضرة الفاضل السنيور قارلو – نللينو استاذ الجامعة المصرية . ومررت فى الكتاب بملخص محاضرات أربع فى مسائل النسىء ألقاها الاستاذ سنة (١٩٠٩ —– ١٩١٠) الدراسية. وإذ تكلم الاستاذ وسكت الأساتذة « خلا لى الجو » فكتبت « نظام النسىء عند العرب قبل الاسلام » على أن يكون مقالة أنشرها فى مجلة من مجلات القاهرة.

كتبتها وعرضتها فى ست مقالات أخر لرئيس تحرير مجلة أدبية، فردها بعد أيام . ثم ذهبت بها إلى مدير مجلة دينية . فقال : « مجلتنا لا تقبل مقالة إلا إذا كانت لعالم رسمى من هيئة كبار العلماء . »

فاذ لم أكن عالماً أديباً له شرف التحرير فى المجلة الادبية ، وإذ لم أكن عالما رسمياً من هيئة كبار العلماء ، فانى بحمدالله طالب أبدى ، أدبى ودأبى الطلب . وعقيدتى توحيد مبدأ الوجود ، ولا أرى أصلا توحيد مبدأ الافكار . ولكل أحد ، وإن لم يكن من كبار الادباء وإن لم يكن من هيئة كبار العلماء ، حرية الفكر وحق القول . وأرى ان لا كفر فى فكر . وانما الكفر فى القلوب . فانها لا تعمى الابصار . ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . وأثقل بلية فى العلم ، وأضل تدبير فى التربية ، وأضر حادث فى الاسلام —– هو حجر الافكار .

فحولت مقالاتى رسائل ، ان كسدت عند كبار الادباء وكبار العلماء ، فلعل طالباً يستفيد .

ابن فاطمه

هل كانت عرب الحجاز تعرف عدد السنين والحساب قبل الاسلام ؟

عرب الجزيرة كانت لها فى فجر المدنية مدنية راقية قصها علينا القرآن الكريم فى سورة الفجر قبل مدنية الفراعنة :

« ألم تر كيف فعل ربك بعاد . ارم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذى الاوتاد » . سورة الفجر (٦ — ١٠)

وفى سورة الشعراء يقول لعاد أخوهم هود :

« أ تبنون بكل ريع آية تعبثون . وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون »

وفيها يقول لثمود أخوهم صالح :

« أتتركون فى ما هاهنا آمنين • فى جنات وعيون • وزروع ونخل طلعها هضيم • وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين • » (١٤٦ — ١٤٩)

فالكتاب الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قد شهد لهم بما لا يمكن وجوده إلا فى أعلى مدنية ، وإلا فى أحسن نظم اجتماعية ، وأقوى أنظمة سياسية .

وعباداتهم لأجرام علوية ، واهتداؤهم فى أسفارهم البعيدة بحراً وبراً بنجوم سماوية — كل ذلك يشهد شهادة عادلة أن عرب الجزيرة كانت تعرف النجوم ، وكانت تعلم حركات الشمس والقمر وحركات السيارات .

وعرب نجد وعرب الحجاز كان لهم اتصال من قديم الزمن بعرب اليمن ، وبالعالم المتمدن فى عصرهم . وكانت تستعير من العالم المتمدن معارف كانت تحتاج اليها فى أمورها وشؤونها .

ولغة عرب نجد ، ولغة عرب الحجاز ، وهى أغنى من كل لغات كل العالم

المتمدن ، بكلماتها وأشعارها وأخبارها وأمثالها تثبت لنا أن عرب نجد وعرب الحجاز كانت تعرف البروج وأشكالها وكواكبها ومنازلها وكانت تعرف تمام المعرفة مطالعها وساعات طلوعها وكانت تعرف أوضاع الكواكب بالنسبة إلى الأفق فى كل ساعة من ليلها ونهارها ، وتهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فى جميع أسفارها . ونحن لا نشك اليوم أن العرب قبل الاسلام كانت تعرف وتعلم حركات الشمس والقمر وتعرف مقاديرها بالدقة ، وتعرف التفاوت بين دورة الشمس ودورة القمر بالأيام . وسواء عندنا فى ذلك : أكانت معرفتها بحساب الحركات مستعارة من العالم المتمدن ، أو من اليهود والنصارى ، أو كانت مستفادة بارصادها العادية الطبيعية . كانت العرب قبل الاسلام تعرف مقدار السنة الشمسية ، ومقدار السنة القمرية ، وقدر التفاوت بالأيام ، بل بالدقة . إلا أنها لم تكن تؤرخ إلا بالسنين والأشهر القمرية . لم تكن تستعمل فى تاريخها إلا التقويم القمرى .

والشهر عند العرب ثلاثون يوماً أو تسع وعشرون . ومجموع أيام السنة على هذه الطريقة السهلة = ٣٥٤ يوماً .

ولم تكن العرب تحتاج إلى الكبس ، ولا إلى زيادة الأيام فى بعض الشهور لأن ابتداء الشهر لم يكن إلا بالأهلة . ولا كبس فى نظام الأهلة .

لماذا ابتدعت العرب

نظام النسىء ؟

كانت العرب تدين دين أبيها ابراهيم فى أمور : ١) فى مناسك الحج . ٢) فى أشهر الحج . وهى أشهر معلومات متعينة مستقرة . ٣) فى تحريم الأشهر الاربعة من الشهور . ثلاثة منها متوالية : ذو القعدة ، ذو الحجة ، المحرم ، وواحد منها فرد : أول النصف الثانى من السنة . هو رجب ، السابع من شهور السنة . كان يعد أعظم الأربعة الحرم حرمة . حتى ما كان يؤخر حرمته .

وكان يشق على العرب من دين ابراهيم فى نظام التقويم أمران :

١) تتابع الأشهر الحرم الثلاثة متوالية . لأنهم أصحاب حروب وغارات . بها حياتهم . يصعب عليهم الصبر عنها .

٢) انتقال أشهر الحج فى فصول السنة من فصل إلى فصل . بسبب هذا الانتقال قد كان يقع حجهم فى موسم يصعب عليهم فيه السفر . وكان الحج فى موسم الزراعة يزاحم أشغال الزراعة ، أو لا يوافق رواج التجارة . لأن الناس من سائر البلاد ما كانوا يحضرون إلا فى أوقات مناسبة موافقة لهم .

فأرادت العرب أن يكون حجهم مستقراً ثابتاً فى فصل من فصول السنة ، هواؤه معتدل ، يسهل على كل أحد فيه السفر ، وتروج فيه التجارة ، ولا يزاحم أشغال الزراعة . فاخترعت العرب طريقة بها تدفع تتابع الأشهر الحرم الثلاثة . وابتدعت نظاماً به تكون الشهور ثابتة مستقرة فى فصول السنة . ليقع حجهم فى زمن يسهل لهم فيه الأسفار ، يطابق مواسم التجارة ، ويحضر الناس فيه من سائر البلاد . فلا تختل لهم مصلحة دنياوية .

بم اهتدت العرب إلى نظام دورى للنسىء ؟

أما استقرار الحج فى فصل معين من الفصول الأربعة فقد حصل للعرب من نظام كان معلوماً لهم فى تقويمهم القمرى . فان أيام السنة القمرية = ٣٥٤ .

ويبقى فى كل سنة من الكسور = ٠،٣٦٧ .

فلو قلنا إن عرب الحجاز لم تكن تعرفه فان اعتبار الأهلة فى غرر الشهور كان ينجيهامن خطأ اهمال الكسور .

وعرب الحجاز كانت تعرف مقدار السنة الشمسية . تعرفه بالتقريب . أو تعلمته من العالم المتمدن أو المتمدين ، فكانت تعرفه تحقيقاً بالدقة .

ولا عجب ، ولا استبعاد فى ذلك . فان حركات الشمس قد ضبطت بتمام

الدقة قبل زمن ابراهيم بعصور عديدة .

وكل شهر قمري يدور في كل فصل سنوي شمسي في كل عصر ثلاث مرات . ودور ثلاث مرات في كل عصر ، أو ستة أدوار في عصرين يكفي تمام الكفاية في أن تعلم العرب : أن كل ثلاث وثلاثين سنة قمرية تندمج تمام الاندماج في كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية . فان الواقع بعد تكرر مرات يشاهده كل أحد ، وإن لم يعرف دقائق الحساب . نفرض أن العرب ما كانت تعرف بالدقة كسور الشهر القمري ، وكسور السنة القمرية ،

فأيام ثلاث وثلاثين سنة قمرية = ١١٦٨٢ يوماً .

وأيام اثنتين وثلاثين سنة شمسية = ١١٦٨٧ يوماً .

والتفاوت قليل . كان أهل الحساب يهملونه على العادة .

هذا الاندماج الدوري ، الذي يعرفه ويشاهده كل أحد ، هو الاساس لنظام الكبس عند العرب قبل الاسلام . عرب الجاهلية والعرب الجاهلة كانت تعرف هذا الاندماج بالمشاهدة . وجهل الجاهل لا يمنعه أن يشاهد ما هو المشاهد .

فعرف أصحاب الكبس من هذا الاندماج الدوري : أن :

١) كل اثنتين وثلاثين سنة قمرية ان كبست باثني عشر شهراً قمريا

٢) كل أربع وعشرين سنة قمرية ان كبست بتسعة أشهر قمرية

٣) كل ثماني سنوات قمرية ان كبست بثلاثة أشهر قمرية — في كل هذه الصور الثلاث كلها عرفت العرب أن الحج يستقر تمام الاستقرار إلى الأبد في فصل معين مطلوب . وكل هذه الصور الثلاث أصلها واحد : هو زيادة تفاوت السنتين الشمسية والقمرية على السنة القمرية لتنقلب سنة شمسية ، شهورها مستقرة في فصولها . وما كانت العرب تزيد التفاوت في كل سنة احتفاظاً بنظام الأهلة . وهذا اهتداء من العرب . وقد كان يفعل مثل ذلك من هو أجهل من العرب . فان الأرباع في السنة الشمسية تجتمع يوماً كاملا في كل أربع من السنين . وما

كانوا يزيدونه فى كل أربع . بل كانوا يؤخرون الزيادة إلى أن يتم من الأرباع شهر كامل فى كل مئة وعشرين سنة . كانوا يؤخرون ذلك لأن ايامهم على حسب عقيدتهم كان فيها سعود ونحوس . فلو زادوا يوماً فى كل أربع من السنين لانتقلت السعود إلى النحوس . فاحتفاظاً بمثل هذه العقيدة كانوا يؤخرون الزيادة إلى مئة وعشرين سنة . يزيدون الارباع شهراً كاملا = ٠٧٠٧٢ ، ٢٩ يوماً .

لكن العرب لم تلتزم تمام المطابقة . بل كانت تكتفى بالتقريب ، فكانت تكبس كل ثلاث سنوات بشهر اخذاً من الصورة الثالثة .

فالدور على هذا النظام ست وثلاثون سنة قمرية ، مكبوسة باثنى عشر شهراً قمرياً .

وكل سنة على هذا النظام = ٢١ ، ٣٦٤ يوماً .

أو كانت تكبس كل سنتين بشهر . أخذاً من صورة : أن كل أربع وعشرين سنة قمرية تامة تكبس باثنى عشر شهراً قمرياً .

فتكون السنة على هذا النظام = ١٣٢ ، ٣٦٩ يوماً .

والدور على هذا الوجه أربع وعشرون سنة تامة قمرية ، مكبوسة باثنى عشر شهراً قمرياً . يعدونها أربعاً وعشرين . وهى فى الحقيقة خمس وعشرون . كل أربع وعشرين تبتلع سنة تامة واحدة . يفوت على الناس حج سنة واحدة .

وهذا الوجه هو الوجه الأشهر . أهله كانوا أكثر وأغلب . وان كان البعض ليعتبر الوجه الاول . ويقع بينهم جدال فى مواقيت الحج .

وإذ جاء الحق نظام الاسلام وزهق الباطل نظام النسىء لم يبق جدال فى مواقيت الحج كما قال القرآن الكريم « الحج أشهر معلومات . (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ، ولا فسوقٌ .) ولا جدالَ فى الحج . »

والوجه الأشهر رواه عن العرب الطبرى وغيره . وكانوا يروون ما تعلموه من الثقات بالسند ، أو بلا واسطة . ولم يكن أحد منهم يسند إلى العرب ما استخرجه هو بالاعمال الحسابية . ولم يكن احد منهم يقول رجماً بالغيب .

وادب اهل العلم فى الاسلام : أن لا يقول مؤمن قولا رجماً بالغيب ، وأن لا يسند إلى احد قولا لم يقله .

وفى سائر كلماتى على النسىء أنا أعتمد على هذا الوجه ، ان شاء الله جل جلاله فى تصوير النسىء وإيضاح معناه فى آية القرآن الكريم . وقد كان للعرب اختلاف فى نظام النسىء . ومن هذا الاختلاف كان يقع بين النسأة جدال ونزاع فى زمن الحج . كما هدى اليه قول الله جل جلاله فى سورة البقرة (١٩٧) « الحج أشهر معلومات . فمن فرض فيهن الحج فلا رفثٌ ولا فسوق . ولا جدالَ فى الحج . »

وهذا هو وجه نزول الوجهين فى قول الله جل جلاله « فلا رفث ولا فسوق . » ١) وجه البناء على الفتح . ٢) وجه الرفع . ولم ينزل فى قوله « ولا جدال فى الحج » إلا الفتح . فكان الاولان « فلا رفث ولا فسوق » جزاءً للشرط . وكان الثالث استينافاً فى البيان : بيان أن الجدال قد زال بنظام الاسلام .

واختلاف علماء الاسلام فى روايات النسىء لم يكن إلا لاختلاف عرب الجاهلية فى نظام النسىء . والسنون فى نظام النسىء على هذه الصور كلها بعضها اثنا عشر شهراً . هى البسيطة . وبعضها ثلاث عشر شهراً . هى الكبيسة .

وكانت جاهلية العرب تزيد الشهر ، إذا زادت على آخر السنة التى ينتقل الحج بعدها من شهر إلى آخر . ومن شهر إلى مثله إثنا عشر شهراً . ومن شهر إلى ما يليه ثلاثة عشر شهراً . ثم لتحويل السنة القمرية إلى السنة الشمسية ـ أو تقول لتحويل التقويم القمرى إلى التقويم الشمسى طرق أخر ، غير ما تقدم من الوجهين . استعارتها فقهاء اليهود من علماء الفلك . فصاغوها تقويماً أبدياً اذهبوه . كما كانت آباؤهم وامهاتهم استعارت أوزاراً من زينة القوم فصاغوها عجلا ذهبياً عبدوه ، ثم حرقوه ، ثم اشربوه .

١) منها الطريقة المتونية :

المنجم الفلكى اليونانى متون Meton فى المائة الخامسة قبل الميلاد قد حسب واستخرج أن تسع عشرة سنة شمسية تساوى = تسع عشرة سنة قمرية وسبعة

أشهر قمرية . وبعبارة أخرى : أن القمر فى كل تسع عشرة سنة شمسية يدور مئتين وخمسة وثلاثين دوراً اجتماعياً . أو نقول : أن كل تسع عشرة سنة شمسية تحتوى على مئتين وخمسة وثلاثين شهراً قمرياً .

كل هذه العبارات الثلاث معناها واحد .

وبيانه : أن الشهر القمرى مقداره الحقيقى هو هذا العدد = ٥٣٠٨٩ و ٢٩ على أدق الارصاد .

إذا ضربناه فى ٢٣٥ يحصل = ٦٨٦٣٠ و ٦٩٣٩ يوماً .

والسنة الشمسية مقدارها = ٢٤٢٢١ و ٣٦٥ يوماً .

إذا ضربناه فى ١٩ يحصل = ٦٠١٩٩ و ٦٩٣٩ يوماً .

والتفاوت جزئى لا يبلغ مقدار اليوم الا بعد عصور . يهمل على عادة أهل الحساب ، من غير خطأ محسوس .

فاوضاع القمر فى كل تسع عشرة سنة شمسية تعود على ما كانت عليه .

٢٣٥ شهراً قمرياً = ١٩ سنة قمرية ، وسبعة أشهر قمرية .

فتقويم ادوار القمر فى كل ١٩ سنة شمسية تقويم ابدى ذهبي لا يكون فيه خطأ محسوس .

فقهاء اليهود فى أوائل العصر الرابع الميلادى فى السنة ٣٢٠ الميلادية وضعوا تاريخاً شهوره قمرية بالأهلة ، وسنوه شمسية بالفصول . وأخذوا يكبسون كل تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية .

وروى أهل العلم بالسند لا بالاستخراج أن العرب قد استعارت من يهود الحجاز هذا النظام . فاتخذته طريقة فى النسىء . وجعلت كل تسع عشرة سنة قمرية تكبس بسبعة اشهر قمرية ، لتنقلب ١٩ سنة شمسية .

والكبس فى هذا النظام كان على هذا الترتيب : ٢ — ٥ — ٧ — ١٠ — ١٣ — ١٦ — ١٨ = بهز يجوح

وتكون اثنتا عشرة سنة قمرية شهور كل منها اثنا عشر شهراً قمريا . وشهور سبع منها ثلاثة عشر شهراً قمريا .

ومتوسط السنة على هذا النظام = ٣١٥، ٢٤٦ يوما .

وقبل طبع هذه الرسالة بأيام رأيت فى « كتاب الحوار » لامام أنبياء الصين الحكيم كونفوشيوس (٥٥١ — ٤٧٩ ق م .) الذى ترجمه ترجمة سهلة بليغة وعلق على حواشيها إفادات موجزة الشاب الأديب السيد محمد مكين الصينى : إن هذه الطريقة عينها تستعمل فى تاريخ أهل الصين من زمن قديم أقدم من عصر الفلكى اليونانى متون . فترددت فى الأمر وراجعت حضرة المترجم السيد محمد مكين استفتى فيه . فقال « نعم ، إن أهل الصين كان لهم تاريخ قديم شهوره قمرية بالأهلة وسنوه شمسية بالفصول ، مبنى على دور القمر فى كل ١٩ سنة شمسية . وكانوا يكبسون كل تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية . » ثم رسم لى جدولا فى ترتيب الكبس. تعجبت . وبقى فى قلبى تردد والتباس : من هو الأقدم فى هذه الطريقة ؟

فراجعت السيد محمد مكين بهذا . فأخذ دائرة المعارف الصينية ، فقرأ « إن الملك (يو) الذى استوى على عرش الصين سنة ٢٣٥٧ — ٢٢١١ قبل الميلاد قال لوزيره إن كل سنة ٣٦٠ يوماً فاجعل الأيام الباقية شهوراً زائدة لتبقى الفصول الأربعة ثابتة .

٢) ثم منها دور الكسوفات والخسوفات ، ويسميه الفلكيون دور ساروس . بيانه أن مدار القمر يقاطع دائرة البروج فى نقطتين ، كل منهما تسمى عقدة. وهذه العقدة لها حركة رجعية تقطع بها دائرة البروج فى ثمان عشرة سنة وثلثى سنة.

والشمس من عقدة تعود اليها فى = ٦٢ و ٣٤٦ يوماً

فتسع عشرة عودة	= ٧٨، ٦٥٨٥ يوماً
٢٢٣ شهراً قمرياً	= ١٩، ٦٥٨٥ يوماً
١٨ سنة شمسية + ١١ يوماً	= ٣٦، ٦٥٨٥ يوماً

هذه الثلاثة متساوية .

وهذا الدور دور الكسوفات والخسوفات . يقع فى هذه المدة فى كل دور احد وأربعون كسوفاً وتسعة وعشرون خسوفاً .

فان رتب مرتب لكل مئتين وثلاثة وعشرين شهراً قمرياً تقويماً فهذا التقويم يكون تقويماً أبدياً للكسوفات والخسوفات . به كان يتنبأ ويستقبل القدماء الكسوفات والخسوفات .

حقيقة النسيء ومعناه

هذه التى قدمناها هى أنظمة النسيء . والعرب قبل الاسلام كانت تستعمل منها أحد الثلاثة الاول .

فالنسيء هو تحويل التقويم القمرى إلى التقويم الشمسى . والتحويل بالزيادة — زيادة شهر أو عدة أيام لتنقلب السنة القمرية إلى سنة شمسية ؛ أو لينقلب التقويم القمرى إلى التقويم الشمسى .

فان كان الزيادة لغرض تغيير أوضاع الشارع فتكون هذه الزيادة زيادة فى الكفر بأوضاع الشرع .

وقد حدث بنسيء الجاهلية من المفاسد أمور :

١) هدم النظام الذى وضعه الشارع لمقاصد فيها مصالح عمومية اجتماعية .

٢) أداء المناسك فى غير أشهرها المعينة — أداء الحج فى غير وقته ، والصيام فى غير شهره .

٣) فوات حج سنة فى كل دور من أدوار النسيء .

٤) جدال فى تعيين موسم الحج ، واختلاف شديد فى مواقيت العبادة .

والقرآن الكريم بآياته العديدة أبطل كل نظام ابتدع للنسيء ان كان على طريق الاحتيال فى تغيير أوضاع الشرع .

١) « الحج أشهر معلومات » — ثلاثة أشهر فى آخر كل سنة قمرية .

لا يجوز تقديمه عليها ولا تأخيره عنها . وفى النسىء كل ذلك . فيه تقديم وفيه تأخير .

وللشارع فى انتقال موسم الحج فى كل فصل من فصول السنة مقصد عظيم جليل . وفى تحول شهر الصيام فى جميع فصول السنة فائدة جليلة . وفى النسىء ابطال المقصد وافاتة الفائدة .

٢) « ولا جدال فى الحج » وللنسأة على حسب اختلاف الأنظمة وعدم اطرادها جدال وتنازع فى زمن الحج .

٣) « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً يوم خلق الله السموات والارض . » فى كل سنة .

وفى النسىء عدة الشهور تزيد على اثنى عشر شهراً بشهر فى كل سنتين أو فى كل ثلاث سنين .

٤) « إنما النسىء زيادة فى الكفر . »

قدمنا فى البيان أن أصل النسىء هو الزيادة — زيادة شهر أو عدة أيام لغرض تغيير أوضاع الشرع . فتكون هذه الزيادة زيادة فى الكفر بأوضاع الشرع .

والنسىء فعيل مصدر معناه التأخير ، لا فعيل مفعول — فيكون معناه المؤخر . والزيادة فيها تأخير . إذ لولا الزيادة لتقدم بتقدمه الطبيعى . فيكون فى الزيادة تأخير شهر لولاها لتقدم .

٥) « يضل به الذين كفروا » .

وفى يضل ثلاثة وجوه من القراءة :

يَضل معلوم من ضل . فالذين كفروا هم النسأة أو الذين يتبعون النسأة بالقبول والعمل . فالنسء وقبول النسء كلاهما كفر .

يُضل مجهول من أضل . والذين كفروا هم الذين يتبعون النسأة .

يُضل معلوم من أضل . والذين كفروا فاعل . والمفعول الأول على هذا الوجه هو الشهور . فان كل شهر بعد الزيادة يضل ويغيب فى السنة لا يجده واجد .

٦) « يحلونه عاماً ويحرمونه عاما » .

فاضلال الشهور فيه احلال الشهر الحرام . فان الشهر إذا غاب وضل فى السنة فيكون حلالا فى عام وحراماً فى عام . سواء قصده قاصد أو لم يقصد . فالزيادة فيها احلال حرام بالضرورة . فالنسىء كفر وزيادة فى الكفر .

٧) « ليواطئوا عدة ماحرم الله » .

يقصدون المواطأة . ولن يحصل لهم أبداً المواطأة وإنما ثمرة ضلالهم احلال ماحرم الله . ليس إلا .

تأخير حرمة المحرم

والنسىء بمعنى تحويل التقويم القمرى إلى التقويم الشمسى ليثبت موسم الحج فى فصل من السنة معين — هو نسىء أهل الحضر من العرب . وكان جاريا على نظام الكبس ؛ مبنياً على أصول فلكية حسابية . وهذا معنى كون النسىء مزيناً لهم : « زين لهم سوء أعمالهم . »

ولم يجىء التزيين فى القرآن الكريم إلا فى أعمال وأمور لها داعية أو دواع أو لها نظام .

أما النسىء بمعنى تأخير المحرم فكان تابعاً لأهواء أهل البادية ولأحوالهم . ولم يكن له نظام واطراد . وما كانوا يؤخرون ؛ إذا أخروا إلا حرمة المحرم . لأن الأمن فى ذى القعدة وذى الحجة كان ضرورياً التزمه العرب كافة . وأما حرمة رجب فقد كانت أعظم من أن يمسه نسىء ناسىء . ما كان يعتدى على حرمته أحد .

فالنسيء فيه : ١) معنى الزيادة لهدم النظام ٢) معنى التأخير لاحلال الحرام . أبطله الشارع لكلا المعنيين .

فائدة أدبية فقهية

قدمنا فى « نظام التقويم فى الاسلام » أن السنة إذا أطلقت وأن الشهر إذا

ذكر مطلقاً فالسنة اثنا عشر شهراً والشهر ثلاثون يوماً . وقلنا إن هذا الاصطلاح قديم . كان بعض الدول القديمة المتمدنة تجعل السنة ٣٦٠ يوماً . وكان لهم فى كل ست من السنين كبس بشهر للخمسة ، وفى كل مئة وعشرين سنة كبس بشهرين . أحدهما للخمسة ، والثانى للأرباع التى اجتمعت . وكانوا يعظمون تلك السنة باحتفال عظيم . وكانوا يسمونها السنة المباركة .

وهذا النوع من الكبس لم يحرمه القرآن الكريم هو جائز مشروع بل مطلوب . مثل كبس السنين الهجرية فى كل ثلاثين سنة باحد عشر يوماً .

لا يحرمه الشارع . لأنه لتدارك مافات . ولاصلاح الخطأ الملتزم قصداً . لا لهدم نظام مقرر . كما فى كبس الجاهلية .

حج الصديق فى التاسعة

كان فى ذى الحجة

لأهل العلم رواية فيها دلالة ظاهرة لنظام النسىء عند العرب قبل الاسلام . ولنا فيها فائدة جليلة عزيزة تنحل بها مسألة دينية عادية ؛ لها فى قلبنا قيمة غالية عالية .

قال أهل العلم : « ان النبي صلى الله عليه وعلى آله وعلى أمه وصحبه وسلم حملت به أمه السيدة الآمنة الأمينة عليها السلام بمنى فى بيت أبيه أيام التشريق . »

وفى ظاهر هذه الرواية إشكال ظاهر : حيث يلزم أن يكون مدة حمله ثلاثة أشهر فقط ؛ أو ان يكون مدة حمله سنة وثلاثة أشهر .

والبيان واندفاع الاشكال أن ذلك كان مبنياً على نظام النسىء . وذلك أن الحج فى سنة الحمل كان الحجة الثانية من جمادى الآخرة . وعمر النبي كما تقدم فى « أيام حياة النبي » ثلاث وستون سنة قمرية .

من سنة الحمل إلى سنة حجة الوداع = ٦٤ .

وفى خمسين تمت الدورتان لنظام النسىء . وابتداء الدورة الثالثة من جمادى

الثانية. ومنها إلى ذي الحجة سبعة أشهر . وفي كل شهر حجتان على نظام النسيء . تمت أربع عشرة سنة في حجة الوداع حجة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وحج الصديق وقع في الثالثة عشر من الدورة الثالثة في ذي الحجة أيضاً مثل حجة النبي .

حصلت لنا من هذه الرواية فائدتان :

١) أن النبي حملت به أمه صلى الله عليه وعليها وسلم تسعة أشهر قمرية كاملة : من ١٢ جمادى الثانية إلى ثاني عشر ربيع الاول = تسعة أشهر كاملة .

٢) حج الصديق رضي الله تعالى عنه ورضي عنه كان في ذي الحجة أول حج على نظام النسيء في ذي الحجة وكان حجة الوداع ثاني حج في ذي الحجة على نظام النسيء .

وقد أبطل الشارع نظام النسيء بآيات التوبة . وقال النبي رسول الله للعالمين : « ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . »

وقول النبي الكريم الشارع الحكيم : (ألا ان الزمان قد استدار) يدل دلالة ظاهرة على أن نظام النسيء كان دورياً جارياً على نظام . والنظام الذي وضعه الله جل جلاله : هو دور كل شهر قمري على كل فصل من فصول السنة الشمسية في كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية .

والرواية التي قدمناها لأهل العلم تدل دلالة ظاهرة على أن طريقة الكبس عند العرب زمن النبي كانت : أن تكبس كل سنتين بشهر . فكل أربع وعشرين سنة تكبس باثني عشر شهراً . فالدورة خمسة وعشرون سنة قمرية ، تبتلع سنة واحدة قمرية كاملة في كل أربع وعشرين سنة نسيئية .

تمت الدورتان في خمسين من سنة الحمل ، وعمر النبي تسع وأربعون سنة وأشهر . وابتدأ الدورة الثالثة من جمادى الثانية . منها إلى ذي الحجة سبعة أشهر . في كل شهر حجتان . ويبدنا من عمر النبي أربع عشرة سنة .

فبالضرورة يكون حج الصديق قبل حجة النبي بسنة أول حجة في ذي الحجة.

وحج النبي في السنة العاشرة ثانية حجة في ذي الحجة على نظام النسيء .

أو نقول في دفع الاشكال : تحقق أن ولادة النبي كانت في ١٢ من ربيع الأول . وتوفاه الله جل جلاله بيده اليه في ١٣ من ربيع الأول . وأجمع الأمة أن مدة حياته ٦٣ سنة تامة قمرية .

فمن جمادى الآخرة المتأخرة عن ولادته بثلاثة أشهر إلى ذي الحجة من حجة الوداع المقدم على وفاته بثلاثة أشهر = ٦٢ سنة تامة وستة أشهر . هي ستون سنة تامة نسيئية على نظام النسيء . لأن نظامنا يكبس كل سنتين بشهر . فالستون قد كبست بثلاثين شهراً . وثلاثون شهراً سنتان وستة أشهر .

والحجة التي وقعت في أثناء عام ولادته هي الحجة الاولى في رجب . تمت الدورتان في خمسين من سنة المولد . وبيدنا من عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة وأشهر . وابتداء الدورة الثالثة من رجب . منه إلى ذي الحجة ستة أشهر وفي كل شهر حجتان

فبالضرورة يكون حج عتاب بن اسيد في السنة الثامنة من الهجرة سنة فتح مكة اول حج في ذي الحجة . وحج الصديق في السنة التاسعة ثاني حج في ذي الحجة في نظام النسيء

فيكون لم يقع حج في الاسلام الا في ذي الحجة

نزل فرض الحج في السادسة . واعتمر النبي بامته عمرة القضية في السابعة وفتح مكة في الثامنة . وحج عتاب بن اسيد بالمسلمين في تلك السنة . وكانت حجته اول حج في ذي الحجة على نظام النسيء .ونزلت براءة في أول شوال من التاسعة. وابطل الاسلام نظام النسيء في حج الصديق : واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله .

فكان حج الصديق ثاني حج في ذي الحجة على نظام النسيء وكان حجه

الحج الاكبر والحج الاول بنص الكتاب الكريم . بعد ابطال النسيء .

وبهذه تبينت مسألة النسيء وحقيقته . وقلنا فى ص (١٢) إن النسيء فيه : ١.) معنى الزيادة لهدم النظام، ٢) معنى التأخير لاحلال الحرام . أبطله الشارع بكلا المعنيين.

والنسيء بكلا معنييه وبجميع نظمه كان معلوماً لعلماء الاسلام . واختلاف الرواية لم يكن إلا لاختلاف النظم عند العرب . وكان للعرب ثلاثة نظم فى النسيء، قد كان يقع بسببها اختلاف وجدال فى مواقيت الحج . وبينا أن أصل هذه الثلاثة واحد؛ وان الغرض منها واحد . وان الشرع لم يبطل النسيء إلا لبطلان الغرض . وقد وجد قبل الاسلام بأيدى أمم نسيء على نظم مختلفة لم يتعرض له الاسلام بالابطال. قد ذكرت شاهده فى ص (٥) كالم يبطل الاسلام نسيء أهل الصين . اذ لم يكن فى نسيئهم غرض باطل .

فقول الاستاذ الفاضل السنيور قارلو نالينو فى كتابه « علم الفلك » (ص ١٠٤) : ان معرفة حقيقة النسيء قد اندرست تماماً نحو منتصف القرن الاول للهجرة . كما اندرست معرفة غيره من آثار الجاهلية) حكم على عجلة وقول عن غفلة وتقول على أهل العلم . واختلاف رواية أهل العلم لاختلاف أنظمة العرب فى النسيء دليل لاحاطة العلم لا لاندراس العلم بحقيقة النسيء . إذ احاطوها على جميع وجوهه .

هذا . قل بفضل الله وبرحمته . فبذلك فلتفرحوا . هو خير مما يجمعون .

١٣٥٤ — ربيع الاول . بالقاهرة

ابن فاطمه

(موسى جار الله ...)